The Role of Family in Realizing Tolerance among It's Members

Dr. Taysir Mahjoub Yasin Alfityani
Department of Sharia and Islamic studies - Faculty of Arts
Applied Science Private University, Jordan
te671957@gmail.com

Received 30/3/2015 Accepted 10/6/2015

Abstract:

This study dealt with the issue of the family and it's role in realizing tolerance among its members that is through the accredited evidences from the Holy Quran, the Propohet's Sonna, and the Good Followers.

The researcher in this study dealt with the definition of family and tolerance through three requirements divided into several issues that covered the whole subject with all it's details. In the forth requirement, the researcher focused on the role that the family could play to inhance tolerance in the psyche of sons without discrimination. Then the researcher presented a summary for all those requirements. Finally a number of recommendations were deems necessary to follow as possible.

Key Words :Definition of Family in language and convention, Definition of Tolerance in language and convention and Definition of Role in language and convention.

دور الأسرة في تحقيق التسامح بين أفرادها

د. تيسير محجوب ياسين الفتياني
قسم الشريعة والدراسات الإسلامية-كلية الآداب
جامعة العلوم التطبيقية الخاصة - الاردن
te671957@gmail.com

تاريخ استلام البحث ٢٠١٥/٣/٣٠ تاريخ قبول البحث ٢٠١٥ /٦/١٠

ملخص

قامت هذه الدراسة بتناول موضوع الأسرة ودورها في تحقيق التسامح بين أفرادها وذلك من خلال الأدلة المعتمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال السلف الصالح.

وقد تناول الباحث في هذه الدراسة تعريف كل من الأسرة والتسامح والدور ضمن ثلاثة مطالب التي تفرعت إلى مسائل شملت كل جوانب الموضوع بكل تفصيلاته . أما في المطلب الرابع فقد ركز الباحث على الدور الذي يمكن تلعبه الأسرة في سبيل تعزيز التسامح وترسيخه في نفوس الأبناء دون تفرقة أو تمييز، ثم قدم خلاصة لكل هذه المطالب. وأخيرًا اختتم الباحث هذا الموضوع بالنتائج التي ترتبت عليه، واختتم البحث بجملة من التوصيات التي رآها ضرورية للعمل بها قدر المستطاع، والله من وراء القصد.

الكلمات المفتاحية: تعريف الأسرة: لغة واصطلاحًا، تعريف التسامح: لغة واصطلاحًا، تعريف الدور: لغة واصطلاحًا.

مقدمة

الأسرة نواة المجتمع، واللبنة التي يرتكز عليها وجوده الاجتماعي وطموحاته الحضارية والثقافية، فهي صورة مصغرة عن الدولة بمفهومها المعاصر، وأي خلل في بنية الأسرة ستظهر نتائجه في بنية المجتمع، وحتى لا نتحول إلى كائنات متجاورة، وتفرغ قلوبنا من الحب، وعقولنا من التفكير بالآخر، أياً كان هذا الآخر، سواء كان أباً أو أمّاً، أخاً وأختاً.. صديقاً...جاراً أو حتى غريباً يحتاجنا، علينا أن نبدأ من الأسرة، فمن الأسرة تنطلق القيم والمثل، وفيها تترسخ الأهداف وتُقرأ عناوين الحياة الأساسية.

والمقصود بالأسرة كل أسرة وليس فقط الأسر التي تمتاز بكثرة البنين، فالقضية ليست مرتبطة بعدد أفراد الأسرة، بل بالخيوط التي تربط هذه الأسرة أو تلك بالمجتمع، مهما كان عالم هذه الأسرة ضيقاً ومستقلاً، فالعالم اليوم يبدو وكأنه فريسة للتوتر، يمكننا أن نلاحظ ذلك إذا أمعنا النظر بأي من مفردات الحياة اليومية للناس، فالشارع مثلاً لم يعد يمثل الحقيقة المشتركة التي ترتبط بحياة الناس، لقد أصبح مكاناً للسير ليس إلا.. والبيت تحول إلى فندق، وينسحب ذلك على العمل والمدرسة والوظيفة والمناسبات الاجتماعية على اختلافها !! والسؤال كيف نستعيد كل ذلك ؟ ونستفيد منه اجتماعياً ؟

بداية يجب أن ندرك أن ذلك، يحدث كنتيجة، والنتائج الاجتماعية لا تتوقف عن الإنجاب، أي أنها ستصبح ذات يوم مقدمات لنتائج أخرى، وهكذا... من هنا علينا العودة إلى نواة المجتمع إلى الأسرة، علينا أن نقيّم نمط العلاقة القائمة بين أفرادها، ونغربل مفردات تلك العلاقة لنسقط المفردات الدخيلة، ليس لمرة واحدة في العمر، بل في كل يوم.

وكلمة تربية ليست مرتبطة بسلوك الأبناء وحسب، إنها ذات معنى يشمل جميع أفراد الأسرة الكبار منهم والصغار على حد سواء، إذ أن الكبار يجسدون فيما يجسدون الواقع العملي من الحياة أمام أطفالهم وتأثير هذا التجسيد العملي يفوق بأثره كل ما يقال نظرياً، إذ لا يمكن أن نرسخ في نفوس أطفالنا الصدق إلاّ إذا كنّا قدوتهم فيه في تعاملنا معهم ومع غيرهم على حد سواء.

والتسامح بين أفراد الأسرة يقتضي قدراً من التفاهم المتبادل، فالفهم هو الشعور بالمقدرة، وترسيخ صورة المقدرة هذه لدى الإنسان أي إنسان كان صغيراً أم كبيراً، يجعل منه إنساناً متفهماً يأخذ في حسبانه مسبقاً ظروف الآخر واحتياجاته قبل أن يأخذ منه موقفاً.من هنا بإمكاننا القول: إن الأسرة هي صورة مصغرة ونموذج عن المجتمع، في هذا النموذج أو بشكل أدق في هذه الخلية الاجتماعية توجد المعايير الأكثر أهمية للعلاقات البشرية المتبادلة أو لا توجد. "وهذه المعايير هي التي تتحكم بسلوك الإنسان لدى تماحكه مع الآخر، والتسامح بين أفراد الأسرة يرسخ في نفوسهم هذه الطبيعة ويدفعهم لممارستها اجتماعياً، فالعلاقات الاجتماعية ليست مرسومة بالمسطرة، لتتحكم بمقاساتها المليمترات، إنها مرهونة بظروف كل فرد من أفراد المجتمع.

سبب اختيار الموضوع

إن المتمعن في أحوال الأسرة اليوم ليقف مندهشًا منذهلا من تباين الفرق واتساع الهوة بين أسرة اليوم وأسرة الأمس. أسرة الأمس التي كان فيها الأبناء يلبون ما يطلب منهم الآباء من خلال لغة الإشارة وتعابير وقسمات الوجه بالإضافة إلى لغة الكلام المعهودة دون

لبس أو عناء. أما اليوم فكل فرد في الأسرة في شأن يغنيه: فالأب همه الأكبر توفير المسكن والملبس والطعام والأمن والصحة لأبنائه، يعود إلى البيت بعد عناء عمل كل يوم ينشد الراحة ويطلب الهدوء، والأم مشغولة بتدبير شؤون المنزل من ترتيب وتنظيف وتهيئة الطعام واستقبال الضيوف، ولسان حال كل منهما يقول: (لقد كفيت ووفيت)، والأبناء يقضون وقتهم كل يوم ذهابًا وإيابًا بين البيت والمدرسة، بالإضافة إلى انغماسهم في استعمال الأجهزة الإلكترونية العصرية دون توقف؛ ولهذا فليس هناك وقت كاف كي تجتمع الأسرة لتتحاور فيما بينها حول قضية من قضاياها، وأن يفهم الفرد ما له وما عليه، وأن يتدارسوا بعضًا من جوانب القيم الأخلاقية التي هي بمثابة اللحمة والنسيج التي تربط أفراد الأسرة بعضها ببعض، وتحدد بالتالي علاقاتها في المجتمع، فلكل فرد في ذلك حججه وبراهينه وأعذاره وإن كانت في معظمها واهية لا قيمة لها.

ولهذا أجد نفسي أمام التحولات التكنولوجية المعاصرة وأمام هذا الواقع مندفعًا في التحدث عن هذه القيم الغائبة وعلى رأسها التسامح (الذي يعتبر قيمة أخلاقية عالية لها أثرها العظيم في تربية وتنشئة الفرد) ودور الأسرة في تحقيق هذه القيمة. وآمل من مفكري هذه الأمة من علماء دين واجتماع ونفس ومن الإعلام بكل وسائله أن يتناولوه بكل إسهاب وتفصيل، وأن يثروه بكل ما أوتوا به من علم ومعرفة وبيان، وذلك قبل أن تتفاقم هذه القيم ويستشري التعصب وتتحول إلى آفات اجتماعية، يصعب حينها تدبرها وحلها.

أسئلة البحث

١. ما هو مفهوم الأسرة؟
٢. على من تقع مسؤولية الانحراف في الأسرة؟
٣. ما هو التسامح؟ وما أهميته؟
٤. ما الكلمة المضادة للتسامح؟
٥. هل حثت الأديان جميعها على التسامح؟
٦. كيف تتسامح الأسرة فيما بينها؟

وتسهيلا للبحث وإيصاله إلى الأفهام ارتأى الباحث أن يقسمه إلى المطالب والمسائل الآتية:

المطلب الأول: مفاهيم ومصطلحات.
المسألة الأولى: تعريف الأسرة لغة واصطلاحا وعرفا.
المسألة الثانية: تعريف التسامح لغة واصطلاحا.
المسألة الثالثة: تعريف الدور.
المطلب الثاني: مفهوم الأسرة في الإسلام .
المطلب الثالث: التسامح فيي الأديان السماوية.
المطلب الرابع: الأسرة ودورها في تحقيق التسامح بين أفرادها.

المطلب الأول: مفاهيم ومصطلحات، وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى: تعريف الأسرة لغة واصطلاحا وعرفا

الأسرة لغة: باستعراض معاجم اللغة يتضح أن (الأُسْرَة) مشتقة . في أصلها . من (الأَسْرِ) و(الأَسْر) لغة يعني : القَيْد ، يقال : (أَسَرَهُ) يأسِرُه أَسْراً وَإِسَارَةً وإِسَاراً : قيَّده ، وأَسَرَهُ : أخذه أسيراً . قال تعالى: ﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم﴾(١) أي شددنا خلقهم. وفي معنى آخر: كل الشيء أو جميعه، تقول هذا الشيء لك بأسره أي كله، وجاءوا بأسرهم يعني جميعهم.

قال ابن فارس: "الهمزة والسين والراء أصل واحد ، وقياس مطرد ، وهو الحبس والإمساك، وأسرة الرجل رهطه لأنه يتقوى بهم." (٢). فالأسرة : لون من ألوان الأسْرِ أو القيد، إلا أنه أَسْرُ اختياري يسعى إليه الإنسان؛ لأنه يجد فيه (الدرع الحصينة)، ويتحقق له من خلاله (الصالح المشترك) الذي لا يتحقق للإنسان بمفرده دون أن يضع نفسه . اختيارياً . في هذا الأسر أو القيد٣).

والأسرة في عرف الناس لا تخرج عن هذا المعنى اللغوي، فهي تطلق على:" كل جماعة بينها رباط من نوع معين، فيقال مثلا: أسرة التعليم، أسرة الفنانين، أسرة الأدباء..." .أما الكلمة المرادفة لكلمة أسرة، فهي:(العائلة)، والتي تقوم على أصل لغوي آخر. فعيال المرء هم الذين يتدبَّر أمرهم ويكفل عيشهم. جاء في لسان العرب" :أعال و أعول إذا كثر عياله، وعلته شهرًا كفيته معاشه" و" عال عياله عولا وعؤولا بالكسر كفاهم معاشهم وقاتهم وأنفق عليهم، وقيل إذا قام بما يحتاجون إليه من قوت وكسوة و غيرهما " (٤) . و في الحديث :" من كانت له جارية فعالها فأحسن إليها ثم أعتقها، وتزوجها كان له أجران" (٥).

وانطلاقا من ذلك فإن الأسرة تطلق ويراد بها :

- أهل الرجل وعشيرته ورهطه الأدنون، وسموا بذلك ؛ لقوة الرباط الذي يربطهم ويوفر لهم الحماية والمنعة .
- أو الجماعة يربطها أمر مشترك وسُمُّو بذلك ؛ للأمر الذي يربطهم ويجمع بينهم (٦).

الأسرة اصطلاحًا.

تعددت تعريفات الأسرة تعدُّداً أثرى الأسرة في كل جوانبها، وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر حول تعريف الأسرة . تبعاً لاختلاف الزاوية التي ينظر منها كل باحث . إلا أن الاتفاق قائم حول أهمية الأسرة كنظام اجتماعي يؤدي وظائف ضرورية وحيوية للمجتمعات الإنسانية بوجه عام. وسيتضح ذلك جلياً من خلال التعريفات التالية:

عرف علماء الاجتماع الأسرة بما يلي: هي الجماعة الإنسانية التنظيمية المكلفة بواجب استقرار المجتمع وتطوره (٧).

وهي "الوحدة الاجتماعية الأولى في المجتمع، التي يتم عن طريقها حفظ النوع الإنساني كله. والأسرة في أبسط صورها رجل وامرأة تربط بينهما علاقة زواج شرعي وما ينتج عن هذا الزواج من أبناء"(٨).

الأسرة عُرفًا

وهو: أهل الرجل وعشيرته بحيث إذا أطلقت كلمة " أسرة " انصرف الذهن مباشرة إلى مجموعة أفراد ذوي صلات معينة من قرابة أو نسب يعيشون معا، أو ينحدر بعضهم من بع (٩).

المسألة الثانية: تعريف التسامح لغة واصطلاحا:

السَّماحة لغة: «السين، والميم، والحاء: أصلٌ يدلُّ على السلاسةِ والسهولةِ» (١٠)

ويُقال أيضًا: سَمُحَ وأسمح: إذا جاد وأعطى عن كرمٍ وسخاءٍ؛ لسهولة ذلك عليه.

قال الجوهري في «الصِّحاح»: «السَّماحُ والسَّماحَةُ: الجود، وسَمَحَ به: أي جاء به، وسَمَحَ لي: أعطاني، وما كان سَمْحًا..، والمُسامحةُ: المُساهلة، وتسامحوا: تساهلوا» (١١).

والعفو: هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه وأصله المحو والطم(١٢).

تعريف التسامح اصطلاحًا:

التسامح في الاصطلاح يقال على وجهين:

الأوَّل: الجود عن كرمٍ وسخاءٍ (١٣).

الثاني: التَّسامح مع الغير في المعاملات المختلفة، ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها الَّتي تتجلَّى في التَّيسير وعدمِ القهر، وسماحةِ المسلمين الَّتي تبدُو في تعاملاتهم المختلفة، سواءً مع بعضهم، أو مع غيرهم من أصحاب الدِّيانات الأُخرى.

وحسب إعلان مبادئ التسامح الذي صدر عن اليونسكو(١٤) "إن التسامح يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوّع الثري لثقافات عالمنا ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا، ويتعزز هذا التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد"...

فالتسامح مطلب إنساني نبيل دَعَت إليه الأديان كافة، وكيف لا تدعو إليه وقد أرادته الحكمة الإلهية، واقتضته الفِطرة الإنسانية، واستوجبته النشأة الاجتماعية، وفرضته المجتمعات المدنية، وحتّمته، وما تحتاج إليه من قِيَم حضارية ومَدنية نبيلة.

المسالة الثالثة: تعريف الدور:

بعد تتبع كتب الموسوعات وجدت تعريفات كثيرة للدور، وكل واحد يعرف الدور حسب نظرته الفلسفية أو الاجتماعية، وقد أخذت منها ما يناسب هذا البحث، فقد عرفه بعض العلماء بأنه: أنظمة معيارية يفترض بالفاعلين الذين يقومون بها الخضوع لها، وحقوق مرتبطة بهذه الإلزامات (١٥).

أما الدور الاجتماعي فقد عرفه البعض بأنه مجموعة من العلاقات التي تربط بين الشخص وأفراد مجموعته، إنه السلوك الذي يحرص الناس عليه في أداء أدوارهم الاجتماعية يسهل الحياة للمجتمع وأعضائه (١٦).

وعرفه البعض على أنه السلوك المتوقع من الفرد في الجماعة، أو مجموعة من الأفعال والواجبات التي يتوقعها المجتمع من هيئاته وأفراده مما يشغلون أوضاعًا معينة من مواقف معينة . أو مجموعة الأفعال أو التصرفات التي يقوم بها الشخص بما يتوافق مع مركز أو موضع معين (١٧).

المطلب الثاني: مفهوم الأسرة في الإسلام.

المقصود بمفهوم الأسرة بصورة محددة قاطعة ليس بالأمراليسير رغم أن مدلولها معروف لدى جميع الناس، وموجود في كل مكان. ولعل مَردَّ هذه الصعوبة إلى أمرين:

أولهما: خلوّ القرآن الكريم، والسنة النبوية من اصطلاح الأسرة أو ما يعادله تمامًا.

وثانيهما: أن الفقهاء لم يستعملوا اللفظ في عباراتهم في المعنى المقصود.

ولعل لفظ أهل والذي تردد ذكره فيهما هو أنسب الألفاظ للدلالة على معنى الأسرة. قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ (١٨). وقوله عز وجل: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ (١٩).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ...﴾ (٢٠).

وقوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾(٢١).

هذا بالإضافة إلى لفظّي: عشيرة: بمعنى القرابة والأسرة. ورهط: بمعنى الأسرة (٢٢).

المطلب الثالث: التسامح في الأديان السماوية، وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: السامح عند المسلمين.

إن الإسلام الذي جاء به رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم حمل بين طياته قوانين عدة مهمة عملت على نشره في شتى أرجاء العالم الأكبر.

فمن أشهر هذه القوانين هو قانون: اللين واللاعنف والتسامح الذي أكدت عليه الآيات المباركة فضلاً عن الأحاديث النبوية الشريفة.

حث القران الكريم على التسامح من خلال دعوته المسلمين إلى الالتزام بالعديد من المفاهيم والقيم والقواعد التي تجسد التسامح كقيمة دينيه أخلاقية اجتماعية ومنها:

الإقرار بالتعدد التكليفي كما في قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ (٢٣).

والتعدد التكويني كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (٢٤).

ولا نزال نرى في القرآن الحكيم خير دعوة علمية وعملية إلى اللاعنف والسلم. وبالرجوع إلى المعجم المفهرس وجد الباحث:د. ونيس الطاهر عامر (٤٤) آية كريمة تتحدث عن العفو والصفح (٢٥) منها هذه الآيات:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٢٦).

ويقول: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا) (٢٧) .

ويقول: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٢٨) .

ويقول: ﴿خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ﴾ (٢٩) .

ويقول: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٣٠) .

ويقول:﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (٣١).

ويقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (٣٢).

ويقول: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (33).

ويقول: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(34).

ويقول: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (35)...

إلى غيرها وغيرها من آيات الذكر الحكيم.

وأما السُّنة فقد حفلت بأحاديث نبوية كثيرة لتأكيد مفاهيم العفو والتسامح والصفح عن المسيء، وعدم الظلم...، وإقامة أركان المجتمع على الفضل، وحسن الخلق ومنها:

عن جابر بن عبد الله –(رضي الله عنه) –: أنَّ رسولَ الله (صلى الله عليه وسلم)، قال: «رَحِمَ اللهُ رَجُلا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى(٣٦).

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه)، عن النبيِّ (صلى الله عليه وسلم) قال: «أَلَا أُخْبِرُكُم عَلَى مَنْ تَحْرُمُ النَّارُ؟»، قالوا: بلى، قال: «عَلَى الهَيِّنِ اللَّيِّنِ، السَّهْلِ القَرِيب .«(٣٧).

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: ما ضرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى (٣٨).

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: كأني أنظر إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحكي نبياً من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) (٣٩).

وعن أبي هريرة ((رضي الله عنه)) أن رسول الله ((صلى الله عليه وسلم)) قال :"ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" (٤٠).

ويبين ((صلى الله عليه وسلم) أن العفو يورث العز، فعن أبي هريرة ((رضي الله عنه)) قال: قال رسول الله ((صلى الله عليه وسلم)):"ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزًّا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله" (٤١).

وكان (صلى الله عليه وسلم) يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً. وكان (صلى الله عليه وسلم) يعفو عن اليهودي أو المشرك طمعاً منه في دخوله الإسلام، وكان يعفو كذلك إذا جهل عليه أحد الأجلاف من الأعراب حتى يثبت الإيمان والإسلام في قلبه. وكذلك كان يعفو عن أصحابه ليزدادوا حُباً له. والأمثلة على ذلك كثيرة لا يتسع المجال لذكرها.

وأما السلف الصالحُ وهُم عُلماءُ الإسلامِ وبمعنى آخر هم الصحابة والتابعون وتابع التابعين، ومن بعدهم أتباع السلف الصالح. وهم الذين مثلوا الإسلام أحسن تمثيل في صدقهم وعدلهم وحسن عبادتهم وكرم أخلاقهم وطيب معشرهم، فأصبحوا قدوة هذه الأمة تستنير برأيهم وتستهدي بهديهم وتحذو حذوهم. فما أجدرنا – نحن مسلمي اليوم – أن نقتبس منهم بعض الأمثلة حول الصفح والتسامح والعفو والحلم! فهم خير من يقتبس منهم ويقتدى بهم.

– فهذا ابن مسعود (رضي الله عنه): ذهب ليشتري الطعام فلما أراد أن يدفع الثمن وجد أن الدراهم سُرقت، فدعا الناس على السارق، فقال ابن مسعود: اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءة على الذنوب فاجعله آخر ذنوبه (٤٢).

فالمسلم هيِّن ليِّن سمح نقي، سهل عفو قريب من الناس، متودد إليهم، باذل لهم، ناصح إياهم، ملتمس لهم الأعذار في تصرفاتهم.

– وهذا عمر الفاروق (رضي الله عنه): يعفو عن الناس جميعًا ويقول: كل الناس مني في حل (43).

– وهذا عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) يقول: إنك إن تلقى الله ومظلمتك كما هي، خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها (٤٤).

– قال ابن القيم (رحمه الله): "يا ابن آدم إن بينك وبين الله خطايا وذنوبًا لا يعلمها إلا هو، وإنك تحب أن يغفرها لك الله، فإذا أحببت أن يغفرها لك فاغفر أنت لعباده، وإن أحببت أن يعفو عنك فاعف أنت عن عباده، فإنما الجزاء من جنس العمل .."(٤٥).

وقال الشافعي (رحمه الله (٤٦):

قالوا سَكتَّ وقد خُصمْتَ قلت لهم ** إن الجواب لباب الشر مفتاح
فالعفو عن جاهل أو أحمق أدب** نعم وفيه لصون العرض إصلاح
إن الأُسود لتُخشى وهي صامتةُ ** والكلب يحثى ويرمى وهو نباح

المسألة الثانية: التسامح عند المسيحيين واليهود.

إن الأديان بحكم انتمائها إلى السماء، فإنها لا تأمر إلاّ بالخير والحق والصلاح، ولا تدعو إلاّ بالبِرّ والحب والرحمة والإحسان، ولا توصي إلا بالأمن والسلم والسلام، وما كانت يوماً في حدِّ ذاتها عائقاً أمام التبادل والتلاقح والتَّثاقف، ولا أمام التعايش والتعارف والحوار، وإنما العائق يكمن في الذين يتوهمون أنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة، ويستغلون الأديان في أقدار الناس ومصائرهم، كما يكمن في عُقم إفهام بعض القائمين عليها، وما زالت المفارقات بين المبادئ والممارسات الواقعة هنا وهناك لا تُحص (٤٧).

إن الإسلام لم يكن وحده في اشتماله على مبادئ التسامح، كما أشرنا، فالمسيحية التي تقول أناجيلها: لقد قيل لكم من قبل إن السنّ بالسنّ والأنف بالأنف، وأنا أقول لكم: لا تقاوموا الشرّ بالشرّ بل من ضرب خدّك الأيمن فحوّل إليه الخد الأيسر ومن أخذ رداءك فأعطه إزارك وإن سخّرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين (٤٨).

– من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان (٤٩).

– عاشروا الناس معاشرة إن عشتم حنّوا إليكم، وإن متّم بكوا عليكم (٥٠).

هذه نصوص مأخوذة من الإنجيل (الكتاب المقدس) وهي بدورها تتضمّن مبادئ التسامح في أَجْلى صوره، بل إنه تسامح يبدو أحياناً فوق الطاقة، وهذا دليل ثانٍ على تشارك الأديان السماوية في هذا الجانب الفضيل من جوانب الحياة، ولا غرابة في ذلك لأن الربّ واحد ومشرّع القيم السمحة واحد، على الرغم من اختلاف الأنبياء والأديان. وكذلك فإن اليهودية تدعو إلى التسامح، فإذا نظرنا إلى مثل هذه الوصايا..

– كل ما تكرهُ أن يفعلهُ غيرك بك فإياك أن تفعلهُ أنت بغيرك (٥١).

– اغتسلوا وتطهّروا وأزيلوا شرَّ أفكاركم، وكفّوا عن الإساءة، وتعلّموا الإحسان والتمسوا الإنصاف (٥٢).

وهكذا.....بات واضحاً أن التسامح الديني مطلب إنساني نبيل دَعَت إليه الأديان كافة، وكيف لا تدعو إليه وقد أرادته الحكمة الإلهية واقتضته الفِطرة الإنسانية واستوجبته النشأة الاجتماعية وفرضته المجتمعات المدنية وحتّمته وما تحتاج إليه من قِيَم حضارية ومَدنية نبيلة.

المسألة الثالثة: درجات التسامح

للتسامح ثلاث درجات كل واحدة أرقى من الأخرى، ولو طبقت لكانت العوائل تعيش الحياة الهانئة وهذه الدرجات هي:

أولا: التسامح بعد العتاب:

وهي الحالة التي يعاتب بها الشخص من أساء إليه ثم بعد ذلك يغفر له ذلك الذي يحدث حينما يرى الفرد شخصاً يسيء إليه عامداً، فيعفو عنه ويتجاوز عن سلوكه السيئ في سبيل الله، وفي سبيل القيم الإنسانية السامية، قال تعالى: (خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلين) (٥٣).

ثانيا: الصفح:

أما الدرجة الثانية فهي أعلى وأسمى مرتبةً من سابقتها، وفيها يترفع الفرد عن رؤية الإساءة، فلو أساءت زوجته أمامه يحاول جاهداً أن يفعل شيئاً يُفهم منه بأنه لم يَرَ تلك الإساءة بالمرة كي يعفو عنها، وهذا ما يسمى بالصفح، وقد قال فيه القرآن الكريم: {... وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيم} (٥٤).

وجاء في الخبر أن الأفراد الذين يعفون سيعفو الله عنهم يوم القيامة، أما الذين يصفحون، أي لا يعاتبون المسيء أبداً، وكأنهم لم يروا منه إساءة، يتجاوز الله عنهم، ولا يذكر مساوئهم بالمرة ويدخلون الجنة بدون حساب.

ثالثا: الإحسان:

ويمثل الدرجة الثالثة وهو الذي يعمل به الخاصة من المسلمين من الذين بلغوا مقامات ومراتب لم يبلغها عامة الناس فهو: الإحسان لمن أساء إليهم: "ويدرؤون بالحسنة السيئة" أي يدفعون بالطاعة المعصية، أو بالحلم الجهل، وقد كررت هذه الآية في عدة أماكن من القرآن الكريم، قال تعالى:{... ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ..} (٥٥). وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أحسن إلى من أساء إليك) (٥٦).

ومن هنا نفهم ان البيت هو الرحم الذي يولد منه الأشخاص المتسامحون، فلا ينبغي التقليل من قيمة هذا الصرح العائلي العظيم لكي ننتج اسراً ناجحة بأفرادها متسامحة حتى يكون المجتمع مجتمع الأخوة والسلام والمحبة والإحسان (٥٧).

الخلاصة:

ومما تقدم ذكره نخلص إلى الآتي

١. خلوّ القرآن الكريم، والسنة النبوية من اصطلاح الأسرة أو ما يعادله تمامًا. ولعل لفظ أهل والذي تردد ذكره فيهما هو أنسب الألفاظ للدلالة على معنى الأسرة، بالإضافة إلى لفظي: رهط وعشيرة.
٢. مفهوم التسامح: هو تيسير الأمور والملاينة يها التي تبدو في تعاملات المسلمين سواء مع بعضهم أو مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى وغيرهم.
٣. التسامح ليس مقصورًا على الدين الإسلامي وحده، بل جاءت به الأديان السماوية الأخرى، فقد أرادته الحكمة الإلهية، واقتضته الفِطرة الإنسانية، واستوجبته النشأة الاجتماعية، وفرضته المجتمعات المدنية، وحتّمته وما تحتاج إليه من قِيَم حضارية ومَدنية نبيلة.
٤. اللين والتسامح والصفح والعفو الذي أكدت عليه آيات القرآن الكريم وليد نوعين من الإقرار:
   أ. الإقرار بالتعدد التكليفي.
   ب. الإقرار بالتعدد التكويني.
٥. حفلت السنة بأحاديث نبوية كثيرة لتأكيد وترسيخ مفاهيم التسامح، والصفح عن المسيء، والإحسان، وعدم الظلم، والصبر على الأذى، واحتساب الأجر من الله تعالى، وإقامة أركان المجتمع على الفضيلة، وحسن الخلق. وكذلك ضرب السلف الصالح أروع الأمثلة في التسامح قولا وفعلا وأصبحوا قدوة لنا نسترشد بآرائهم ونستهدي بهديهم.
٦. أما الدور فله تعريفات متعددة من بينها: هو السلوك المتوقع من الفرد في الجماعة، أو مجموعة من الأفعال والواجبات التي يتوقعها المجتمع من هيئاته وأفراده مما يشغلون أوضاعًا معينة من مواقف معينة . أو مجموعة الأفعال أو التصرفات التي يقوم بها الشخص بما يتوافق مع مركز أو موضع معين.

المطلب الرابع: الأسرة ودورها في تحقيق التسامح بين أفرادها:

تمهيد:

تعد الأسرة الوحدة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الطفل ويتفاعل مع أفرادها، وبالتالي فهي تؤثر على النمو الشخصي في مراحله الأولى سابقة بذلك أي جماعة أخرى، حيث تعد المسؤولة عن بناء الشخصية الاجتماعية والثقافية للفرد، بل إن تأثيرها ينفذ إلى أعماق شخصية الفرد ويمسها في مجموعها.

وإذا كانت الأسرة هي النواة الأولى لعملية التنشئة الاجتماعية والتي تتولى تنشئة أطفالها أو أفرادها في مراحلهم العمرية المختلفة، فإن نمط العلاقات الإنسانية القائم داخل هذه الأسرة هو الذي يحدد طبيعة القيم التي سيتشبع بها الفرد، من تعلم للتسلط والاتكالية والعجز والاعتماد على الآخرين، وسهولة الانقياد لضعف الشخصية، أو على طرف النقيض من ذلك من تعلم لقيم النقاش والحوار والتسامح وقبول الآخر، وقوة الشخصية والقدرة على الابتكار والإبداع، مما يجعل التساؤل مشروعا حول الدور الذي لعبته الأسرة في الوطن العربي في تقبل الآخر وعدم التسلط على أفكاره وقبول قيم التسامح.

وحسب طبيعة البحث رأى الباحث أن يقسم هذا المطلب الى المسائل لآتية:

المسألة الأولى: قصور الأسرة في غرس قيم التسامح والحوار في المجتمع الإسلامي

تشتمل الأسرة، بحكم بنيتها ووظائفها على نسق من العلاقات التي تقوم بين أفرادها .وتعد العلاقة القائمة بين الأبوين المحور الأساسي لنسق العلاقات التي تقوم بين أفراد الأسرة، والمنطلق الأساسي لعملية التنشئة الاجتماعية؛ حيث تعكس العلاقة الأبوية ما يسمى "بالجو العاطفي" للأسرة والذي يؤثر تأثيراً كبيراً على عملية نمو الأطفال نفسيًا ومعرفيًا. وتمثل العلاقة الأبوية نمطا سلوكيًا لأفراد الأسرة. وهذا يعني أن الطفل يكتسب أنماطه السلوكية من خلال تمثل هذه العلاقات السلوكية القائمة بين أبويه.

فالأطفال، كما هو معروف، يتقمصون شخصية آبائهم، ويتمثلون سلوكهم، كنموذج تربوي بشكل شعوري أو لاشعوري، ويتحدد النمط السلوكي داخل الأسرة بتصورات الدور والمواقف، وسلوك الدور الذي يقوم به أفراد الأسرة.

ويلاحظ أن الأسرة تتضمن منظومة من الأدوار: كدور الأب، ودور الأم، ودور الزوجة، ودور الأخ، ودور الأخت، ودور المربية، وكل دور من هذه الأدوار يجري وفق تصورات قائمة في ثقافة المجتمع العامة أو في ثقافاته الفرعية. وتشكل هذه الأدوار منظومة العلاقات التي تسود في وسط الأسرة. والتي تشكل بدورها محور التفاعل الاجتماعي والتربوي داخل الأسرة.

وتتباين العلاقات القائمة في إطار الأسرة الواحدة من حيث درجة الحرية، ودرجة الشدة. ويتمثل التصلب التربوي في استخدام الشدة والعنف في العلاقات الأسرية كالضرب، والشجار، والعقاب الشديد، والاستهتار والظلم، وغياب المرونة في إطار التعامل الأسري.

إن علاقات التسلط والرضوخ المنتشرة في حياة المجتمعات العربية والإسلامية، وروح الاتكالية تنعكس في نهاية المطاف على

الحياة السياسية ذاتها؛ فيصبح من الطبيعي للفرد أن يتقبل أي نظام تسلطي، حيث إن هذا هو ما تعود عليه طيلة حياته. ويصبح عنده إحساس بالعجز وعدم القدرة على المشاركة في اتخاذ القرارات، حيث إنه قد تعود على وجود من يتخذ له القرارات في جميع جوانب حياته الأخرى، ولذا فإنه يتقبل وجود من يتخذ له القرارات بالنيابة عنه في المجال السياسي، ويبدو هذا بوضوح في روح الإذعان والاتكالية السائدة في الثقافة السياسية العربية والإسلامية.

المسألة الثانية: أهمية التسامح في بناء الأسرة

أما التسامح فيتمثل بالمرونة، والرقة، والحرية، واحترام الآخر، والتكافؤ والعدل والمساواة. ويطلق على الجانب الأول من العلاقات علاقات التسلط والقوة، وعلى الجانب الآخر العلاقات الديمقراطية. ويكاد يجمع المربون اليوم على أن أسلوب الشدة لا يتوافق مع متطلبات النمو النفسي والانفعالي عند الأطفال، بل يؤدي في جملة ما يؤديه، إلى تكوين مركبات وعقد النقص، والضعف، والإحساس بالقصور، وإلى تنمية الروح الاستلابية الانهزامية عند الطفل.

ولقد بينت الدراسات الجارية في هذا الميدان أن العلاقات الديمقراطية المتكاملة التي توجد داخل الأسرة تؤدي إلى تحقيق التوازن التربوي والتكامل النفسي في شخص الأطفال: كالجرأة، والثقة بالنفس، والميل إلى المبادرة، والروح النقدية، والإحساس بالمسؤولية، والقدرة على التكيف الاجتماعي.

كما أن الأسرة تلعب دورًا أساسيًا ومركزيًا في نشر قيم التسامح والأمن الفكري، وذلك من خلال:

١. التربية الفكرية الصالحة للأبناء، من خلال ترسيخ مبادئ الوسطية والاعتدال في معتقداتهم وأفعالهم وأقوالهم، وتنمية روح الانتماء والمواطنة لديهم في مراحل نموهم المختلفة .
٢. تحصين الأبناء ضد التأثُّر بدعاة الانحراف الفكري، وفي مواجهة ما يُبث من انحرافات فكرية وعقدية عبر وسائل الإعلام، ومراقبتهم للتعرف على توجهاتهم الفكرية من أجل تهذيبها في مرحلة مبكرة
٣. تثقيف الأبناء أمنياً ليدركوا أهمية استتباب الأمن باعتباره مطلباً وحاجة إنسانية أولية، وتعريفهم بأخطار التكفير والإرهاب على الأمن الوطني بكل مقوماته .
٤. التعاون مع المؤسسات الدينية والتعليمية والأمنية، لتحقيق الأمن الفكري وفق الأهداف التي تنسجم مع الثوابت الدينية والوطنية (٥٨).

المسألة الثالثة: وسائل تحقيق الأمان للأسرة

الأسرة لا تكون سعيدة في ظل الأخطار المحدقة، أو تفشي روح العداوة والبغضاء في حقوق أعضائها، مهما تملكت من مظاهر القوة المادية أو الأدبية، أو مظاهر الرقي والتقدم؛ لأن الشعور بالأمن أو الأمان هو الذي يحقق الاستقرار للأسرة، فالمرأة المهددة من زوجها بالتطليق أو بمشاركة غيرها مع عدم العدل، لا تشعر بالأمان ولا تنعم بالاستقرار، بل تفتقد روح الهناء، فلا تشعر بالسعادة على الإطلاق، لأنها تعيش حياة غير طبيعية، في ظروف تفرض عليها الانزعاج والهلع والخوف المستمر أو الخشية من فقدان الزوج الذي أحبته وأخلصت له، وتريد أن تعيش معه حياة مستقرة هانئة، لكنها غير قادرة بسبب سوء معاملة الزوج أو تصرفاته غير المسؤولة تجاهها بحجة أنه الرجل، كأن الأنوثة في حد ذاتها منقصة مع أن النساء شقائق الرجال، كما علَّمنا الرسول، صلى الله عليه وسلم، وليست الرجولة هي مجرد الفحولة أو الاستبداد أو القهر، وإنما الرجولة الحقة هي السلوك القويم، والتصرف الحكيم، والتضحية في سبيل إسعاد الأسرة والمجتمع، بل هي تبلغ القمة بالتضحية بالنفس عند الاقتضاء من أجل إحقاق الحق، وإزهاق الباطل، وتحقيق السعادة بإيثار غيره على نفسه، وتقديم مصلحة الأسرة على مصالحه الشخصية عندما تتعارض المصالح امتثالاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)(٥٩).

فأهم وسائل تحقيق السعادة للأسرة هو نشر روح الإيثار في نفوس أفرادها، وتقديم مصلحة مجموع أفراد الأسرة على مصلحة أحد أفرادها أو بعضهم، بمنتهى التسامح والرضا والحب؛ لأن سرطان الأنانية والأثرة إذا تفشَّى في جسد الأسرة سيفتك بها عاجلاً أو آجلاً، ويؤدي في النهاية إلى تقويضها أو تفككها وتمزيق صفوفها، بسبب انتشار أو استشراء العداوة والكراهية الناجمة عن تضخيم الذات أو ترديد العبارات الانهزامية، كـ<أنا >ومن بعدي الطوفان، أو كل يبحث عن مصلحته، أو المنفعة هي معيار المحبة والمودة والإخاء، ومن لا منفعة من ورائه لا طائل منه، وأن القطار لا ينتظر المتعثرين وإن كانوا من المخلصين أو الأوفياء الصادقين··· فأهم وسيلة من وسائل تحقيق السعادة للأسرة هي التضحية والإيثار، وأن يضع الإنسان نفسه في مكان أخيه أو أخته، وأن يلتمس العذر للمخطئ، وأن يسارع إلى العفو والإحسان إلى من أساء إليه من أفرادها، لأنهم كالجسد الواحد بالمحبة يسعد ويهنأ، وبالعداوة يشقى ويتعب، فلا مفر من التمسك بروح الأخوة والمودة لتحقيق الخير والسعادة لجميع أفراد الأسرة.

المسألة الرابعة: المرأة صمَّام الأمان

قال بعض العلماء في تفسير قول الله تعالى: {رَبَّنا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً} (٦٠)، إن حسنة الدنيا هي الزوجة الصالح (٦١)، فهي زوجة تتمتع بجمال الخلق والخُلُق والعفة، إذا نظرت إليها أدخلت السرور إلى قلبك بحسن طالعها، فلا ترى منها إلا جميلاً، وإذا أمرتها . في غير معصية . أطاعتك قلباً وقالباً، بلا تضجُّر ولا تردد، وإذا غبت

عنها حفظتك في نفسها ومالك وولدك، مهما طال غيابك فأنت حاضر في قلبها نبضاً، وفي عقلها فكراً، وفي عينيها نوراً، وفي أذنيها سمعاً وفهماً وإدراكاً وتقديراً لرسالتك في الحياة، فلا تعرف الغش ولا الغدر ولا الخيانة، لأنها تتخلَّق بخلق الإسلام، فإن كانت في النعماء ترفل، فهي شاكرة لفضل ربها، وإذا أصابتها ضراء أو حلَّت بها فاقة، فهي صابرة محتسبة، توقن بأن الحياة الدنيا مهما طالت فهي إلى موت، والوجود فيها إلى عدم، والبقاء إلى فناء، مصداقاً لقول الله تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإكْرَام } الرحمن (٦٢)،(٦٣)

إن السعادة يمكن أن تصبح عادة بالرضا والقناعة، والبعد عن التطلُّع إلى ما في أيدي الناس، وأن القليل مع الأمن والاستقرار الأسري كثير في كمه وكيفه، وأن الكثير مع الجشع والطمع قليل مزهود فيه، فالمرأة هي ريحانة البيت في حال الرضا، وهي جحيمه المستعر في حال الغضب والتمرد، وبخاصة الزوجة لأنها السكن للزوج في البيت، والحنان للأبناء، والرحمة والعطف وموطن المغفرة والتسامح لكل أفراد الأسرة، فهي صمَّام الأمان الذي يحول دون تدمير الأسرة، لأنها تؤثر غيرها على نفسها، وتقدم كل أفراد عائلتها على ذاتها، بمنتهى الحب والتسامح، اقتداء بأمهات المؤمنين، رضوان الله عليهن، وثقة بفضل الله تعالى وحسن مثوبته للمرأة المخلصة المتمثلة والمتأسية بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا صلَّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي من أي أبواب الجنة شئ(64)" ، وأبواب الجنة ثمانية، فأي فضل بعد هذا؟ مع أنها ستسعد قطعاً في حياتها عندما ترى صرح أسرتها يعلو، وبناء عائلتها يكبر وينمو في حب وتراحم وتعاطف وتواصل، لأنها لم تقدم نفسها على مصالح أهلها فحسب، بل عاشت سعادة العطاء، فهي لا تعرف سوى العطاء المتواصل، هي كالنخلة عندما تتوجه إليها قذائف الحجارة، تستقبلها بالرطب الجني، بمنتهى الرضا والسعادة

هذا لا يعني أن تتحول المرأة إلى مجرد متاع في البيت، أو شيء بلا مشاعر أو أحاسيس مهما أسيء إليها، بل تُقدر الظروف ولا تتعجل في اتخاذ القرار؛ لأن من أسباب الوقوع في الخطأ التسرع في الحكم، ولتحسب المكاسب الحقيقية من وراء استمرار الزوجية، والآثار السلبية المترتبة على انهيارها، وبخاصة عندما تكون قد أحسنت اختيار الزوج الذي إذا أحبها أكرمها، وإذا كرهها لم يهنها، وإلا فعليها أن تتحمل لأقصى درجات التحمل، لأن الحياة الأسرية قامت لتستمر لا لتنتهي لأتفه الأسباب، أو لعارض من العوارض مهما كان ·

هكذا يكون شأن المرأة المسلمة بحق، تلكم المرأة التي تعيش في ظلال أحكام الإسلام، فتشعر بالسعادة الحقيقية، وتقدمها لكل من حولها، لتحقيق الأمن والاستقرار للأسرة .

المسألة الخامسة: الأسرة في ظلال الإسلام

على الإنسان المسلم أن يتأمل قول الله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون}(٦٥)، ليعلم أن من أهداف الإسلام المنوطة بالأسرة، تحقيق المودة والرحمة بين أفرادها جميعاً فرداً فرداً، وأن المحافظة على الأسرة من خلال العمل الصالح بلا منٍّ أو أذى كله ثواب عظيم مصداقاً لقوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون} (٦٦)، فالأسرة الإنسانية خُلقت من نفس واحدة، لكن التباغض والتحاسد فرَّق جمعها، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ} (٦٧)، وليؤمن كل فرد من أفراد الأسرة بأن الحياة قصيرة، فليحرص على تحقيق السعادة والاستقرار فيها لأسرته، قال تعالى: {فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون} (٦٨). فلتعش الأسرة مستمسكة بشرع الله تعالى لا يغويها ما يأتيها من غثاء الهوى الغربي أو الشرقي، لأنه سيهوي بها إلى الحضيض، قال تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُون} (٦٩)، فمن أراد السعادة الحقة لأسرته فلن يجدها على الإطلاق سوى في ظلال الإسلام هذا، والله من وراء القصد (٧٠).

وفي الختام أنوه إلى نقطة مهمة وهي أن الأبوين كثيرًا ما يلجآن إلى تبرير تقصيرهما في تربية وتنشئة أبنائهما إلى ضيق الوقت وإلى معاناتهما اليومية كل في مجال عمله ويدعوهما إلى عدم الالتفات وتوجيه النصح والإرشاد إلى الأبناء، فهناك فرصة مواتية لهما لا تكلفهما شيئًا ومجدية في آن واحد وهي ممارسة التسامح عمليًا على مرأى ومسمع من الأبناء، كأن تعتذر الزوجة لزوجها مثلا عن خطأ ارتكبته بقصد أو دون قصد، فتقول له: أرجو أن تسامحني يا أبا فلان عن الخطأ الذي صدر مني اليوم أو أمس، لأني لم أقصده ولكنه وقع بسبب الضغوط وهموم الحياة اليومية كما تعلم، ولن أعود إلى ذلك مرة أخرى إن شاء الله. وكذلك الشأن مع الزوج إذا كان هناك خطأ ما صدر منه. وبهذا يكونان قد قدَّما درسًا مفيدًا لأبنائهما، وهذا يعطي فرصة للأبناء ذكورًا كانوا أو إناثًا أن يمارسوا هذا الأسلوب أمام أترابهم وأترابهن في المدرسة والجامعة أو أماكن العمل فيما بعد. ولو أن كل أسرة تأخذ على عاتقها مسؤولية نشر ثقافة التسامح بين أفراد الأسرة بهذه الطريقة، نكون قد وضعنا حجر الزاوية في إنشاء جيل يقدر معنى المسؤولية، ويعرف معنى الديمقراطية، ونكون قد جنبنا أبناءنا خطر الانزلاق في متاهات الأنانية والتعصب التي من شأنها خلق

كثير من المتاعب ومشاكل لا حصر لها ولا يعرف عواقبها إلا الله سبحانه وتعالى.

الخلاصـة:

من خلال ما تقدم في المطلب الرابع ومسائله الخمسة توصلنا إلى الآتي:

١. نمط العلاقات الإنسانية القائم داخل الأسرة هو الذي يحدد طبيعة القيم التي سيتشبع بها الفرد، من تعلم للتسلط والاتكالية والعجز والاعتماد على الآخرين، وسهولة الانقياد لضعف الشخصية، أو على طرف النقيض من ذلك من تعلم لقيم النقاش والحوار والتسامح وقبول الآخر، وقوة الشخصية...
٢. العلاقة الأبوية تمثل نمطا سلوكيًا لأفراد الأسرة. وهذا يعني أن الطفل يكتسب أنماطه السلوكية من خلال تمثل هذه العلاقات السلوكية القائمة بين أبويه.
٣. الأسرة تلعب دورًا أساسيًا ومركزيًا في نشر قيم التسامح والأمن الفكري، وذلك من خلال ترسيخ مبادئ الوسطية والاعتدال في معتقداتهم وأفعالهم وأقوالهم، وتنمية روح الانتماء والمواطنة لديهم في مراحل نموهم المختلفة .
٤. الشعور بالأمن أو الأمان هو الذي يحقق الاستقرار للأسرة، في ظل الأخطار المحدقة، وتفشي روح العداوة والبغضاء في حقوق أعضائها، مهما تملكت من مظاهر القوة المادية أو الأدبية، أو مظاهر الرقي والتقدم.
٥. للمرأة أُمًّا كانت أو زوجة أو أختا فضل كبير في سعادة الأسرة، وتعتبر صمَّام الأمان الذي يحول دون تدمير الأسرة.
٦. السعادة الحقة للأسرة لا يمكن توفرها إلا في ظلال الإسلام.

الخاتمـة

الحمد لله الذي وفقنا في إنجاز هذا العمل المتواضع وهو (دور الأسرة في تحقيق التسامح بين أفرادها)، وقد استعرضنا فيه تعريف ومفهوم كل من: الأسرة ولتسامح والدور، وركزنا على أهمية الأسرة والدور الذي تلعبه في تحقيق التسامح ونبذ الكراهية والقضاء على الأنانية والتعصب التي من شأنها لو انتشرت وتفشت سيكون لها عواقب وخيمة لا تحمد عقباها على مستقبل هذا الجيل والأجيال القادمة. وقد توصلنا إلى النتائج والتوصيات الآتية:

١. تكمن أهمية الأسرة في كونها نظامًا اجتماعيًّا يؤدي وظائف ضرورية وحيوية للمجتمعات الإنسانية بوجه عام، ويوفر الحماية والمنعة لكل فرد من أفرادها.
٢. لفظ مصطلح "الأسرة" لم يرد في القرآن الكريم أو السنة النبوية أو على ألسنة الفقهاء، ومصطلح " الأهل" هواللفظ الغالب الوارد في كثير من الآيات الكريمة وفي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وما تلفظ به فقهاء السلف الصالح.
٣. لا وجود لأسرة سعيدة إلا في ظلال الإسلام ومبادئه السمحة.
٤. التسامح في الإسلام أعلى درجات السلُّمَّ الأخلاقي، وهو الكفيل بالقضاء على الأنانية والتعصب والكراهية والتطرف، والأسرة هي المنوطة بتحمل هذا العبء وهذه المسؤولية.
٥. الأسرة وعلى رأسها الأبوان إذا تخلت عن غرس مبادئ التسامح في نفوس أفرادها تكون قد قضت على نفسها بنفسها.
٦. الفرد الذي لم ينشأ على ممارسة التسامح داخل أسرته، فقد كتب عليه أنه ضعيف الشخصية، متخاذل، سهل الانقياد.

التوصيات

أما التوصيات فنجملها بالآتي:

١. تربية النشء على التسامح منذ نعومة أظفارهم قولا وممارسة، وهذه مسؤولية الآباء والأمهات في البيت ومسؤولية المعلمين والتربويين في المؤسسات التعليمية العامة والخاصة. فكما يقول المثل: العلم في الصغر كالنقش في الحجر.
٢. الوالدان قدوة لأبنائهما، فعليهما أن يتجنبا الغضب والصراخ واللغو أمام الأبناء؛ لأن الصغار بطبعهم مقلدون للكبار، وبذلك نمنع انتقال هذه العدوى إليهم.
٣. نشر ثقافة التسامح بين الأفراد والجماعات، وهذه المسؤولية تقع على عاتق أئمة المساجد والوعاظ والدعاة، والمدارس والمعاهد والجامعات، ووسائل الإعلام بمختلف أشكالها المرئية والمكتوبة والمسموعة، وجميع المؤسسات التي يعنيها الأمر.
٤. العمل على تخصيص يوم في السنة على غرار الأعياد التي نشهدها حديثًا يطلق عليه مثلا:
٥. (يوم التسامح)، وفيه يراجع كل فرد نفسه، فربما يكتشف أنه أساء إلى فلان أو فلان عن قصد أو غير قصد، فيعتذر عن هذا الفعل ويطلب مسامحة الآخر ، فلعل بذلك تهدأ النفوس وتطمئن وتزول الأحقاد وتصفو القلوب.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب، رواه عقبة بن عامر، الصفحة أو الرقم ٢٥٣٦.
٣. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ١٩٩٣م، دار ابن كثير، رقم ٥٧٦٣.
٤. ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، (١٩٧٩م)، المكتبة العلمية، بيروت ٢/٣٩٨.
٥. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، صحيح ابن حبان، رقم ٤١٨٦.

٦. ابن حجر العسقلاني، مشكاة المصابيح، رواه أنس بن مالك، الصفحة أو الرقم:٣/٣٠٠. وابن حبان، صحيح ابن حبان، رواه أبو هريرة، الصفحة أو الرقم: ٤١٦٣.

٧. ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس القزويني، (١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللغة.١٠٧/١، دار الفكر، بيروت.

٨. ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد –٣/ ٣٢٤– مؤسسة الريان – ط ١ – ١٩٩٨.

٩. ابن كثير، الإمام الحافظ، إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير ابن كثير ، موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

١٠. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين عبدالله محمد بن مكرم ، لسان العرب ١/٤– ٢٠ . والمعجم الوسيط ١/١.

١١. بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية – ترجمة منير البعلبكي ونبيه فارس – الجزء الأول – طبعة بيروت.

١٢. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، رقم ٢٤٨٨.

١٣. جمال الدين الشيال – تاريخ مصر الإسلامية، العصران الأيوبي والمملوكي

١٤. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح. ٥٧٩/٢ والقاموس المحيط للفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب، ٣٧٧/١ . ٧ مادة :" أسر."

١٥. الخشاب، مصطفى، علم الاجتماع العائلي.

١٦. الخضرا، عبد العزيز، كاتب وباحث تربوي، موقع الأوائل.

١٧. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، (٧٤٨ هـ)، الطب النبوي، دار مكتبة التربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦.

١٨. سعيد حوى، نماذج من حلم الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ويكيبيديا الإخوان المسلمون."بتصرف"

١٩. الصنيع، هناء بنت عبد العزيز، ماذا تحتسبين في العفو عن الناس؟ موقع صيد الفوائد.

٢٠. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (١٤٠٤هـ)، – المعجم الكبير – الجزء ٨– – مكتبة العلوم والحكم – الموصل– تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، وأخرجه علي بن أبي بكر الهيثمي – مجمع الزوائد – الجزء ٩، دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي – القاهرة – بيروت –١٤٠٧هـ.

٢١. الطبري، محمد بن جرير (١٤٠٧هـ.)، تاريخ الطبري الجزء ٤ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط ١

٢٢. عامر، ونيس الطاهر ، العفو والصفح في القرآن الكريم، جريدة الوطن، صوت عُمان في العالم.

٢٣. عبدالله خورشيد البري، القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة.

٢٤. العيداني، ضياء، التسامح لغة الأسرة الناجحة، صحيفة الهدى.

٢٥. علي إبراهيم حسن – مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني .

٢٦. الغزالي، أبو حامد بن محمد الطوسي، إحياء علوم الدين، ١٨٤/٣.

٢٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري » كتاب البيوع » باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، رقم ٢٠٧٦.

٢٨. المباركفوري، صفي الرحمن، (٢٠٠٧م)، الرحيق المختوم – الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، المكتبة الوقفية

٢٩. مجلة الوعي الإسلامي، (٢٠١٠م)، رقم العدد ٥٣٢، مجلة كويتية شهرية.

٣٠. محمد عبد الرؤوف المناوي، التعاريف – الجزء (١) – دار الفكر المعاصر – بيروت – ط ١ – تحقيق د. محمد رضوان الداية

٣١. محمود، علي عبد الحليم، (١٩٩٢م)، تربية الناشئ المسلم، ص ١٨، دار الوفاء للطباعة، ط٢

٣٢. مرعشلي، ندايم وأسامة، الصحاح في اللغة والعلوم.

٣٣. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٨٨.

٣٤. المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد،.

٣٥. الموسوعة العربية العالمية، (١٩٩٩)، ط٢، مجلد ١٠، ص ٤٥٤، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

٣٦. النابلسي، محمد راتب، جوامع الكلم، والقول منسوب لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه

٣٧. هلال، محمد هلال الصادق، (٢٠٠٠م)، أثر الغزو الفكري على الأسرة المسلمة، وكيفية مقاومته.

٣٨. هميسة، بدر عبد الحميد، والعافين عن الناس، موقع صيدالفوائد.

شكر وتقدير:

يتقدم الباحث بجزيل الشكر والعرفان إلى جامعة العلوم التطبيقية الخاصة – عمان – الأردن، على الدعم المالي المقدم لمشروع البحث رقم ٨٢ – ٢٠١٥– ٢٠١٤ DRGS.

الحواشي

١. [سورة الإنسان: ٢٨].

٢. ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس القزويني، (١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللغة.١٠٧/١، دار الفكر، بيروت

٣. هلال، محمد هلال الصادق، (٢٠٠٠م)، أثر الغزو الفكري على الأسرة المسلمة، وكيفية مقاومته.، ص ٣٨.

٤. انظر الصحاح للجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد ٥٧٩/٢ . والقاموس المحيط للفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب، ٣٧٧/١ . ولسان العرب

لابن منظور، أبو الفضل جمال الدين عبدالله محمد بن مكرم ١/٤– ٢٠ . والمعجم الوسيط ١٧/١ مادة :" أسر."

٥. أخرجه مسلم. " فتح الباري لابن حجر ٣٥٩/١٣

٦. انظر الصحاح للجوهري ٥٧٩/٢ . والقاموس المحيط للفيروز آبادي ٣٧٧/١ . ولسان العرب لابن منظور ١/٤– ٢٠ . والمعجم الوسيط ١٧/١ مادة :" أسر ."(مرجع سابق) رقم ٥.

٧. الخشاب، مصطفى، علم الاجتماع العائلي، ص ٤٣.

٨. محمود، علي عبد الحليم،(١٩٩٢م)، تربية الناشئ المسلم، ص ١٨، دار الوفاء للطباعة، ط٢

٩. الصحاح في اللغة والعلوم، إعداد ندايم وأسامة مرعشلي، ص ٢٠.

١٠. [سورة القصص: ٢٩].

١١. [سورة طه؛ ٢٩].

١٢. [سورة التحريم: ٦].

١٣. [سورة الأعراف: ٨٣].

١٤. الرهط: قوم الرجل وقبيلته، وتطلق على ما دون العشيرة من الرجال، ولا يكون بينهم امرأة، لسان العرب لابن منظور، ٣٠٥/٧.

١٥. ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس القزويني، معجم مقاييس اللغة، (١٩٧٩م)، دار الفكر ٣/٩٩. المكتبة الوقفية.

١٦. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ، ١/٣٧٦.

١٧. ابن منظور، لسان العرب، المجلد ١٥ – دار صادر – بيروت – ص (٧٢) مادة عفا.

١٨. ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، (١٩٧٩م)، المكتبة العلمية، بيروت ٢/٣٩٨.

١٩. الفقرة الأولى من المادة الأولى في إعلان "المبادئ حول التسامح "الذي صدر عن الدول الأعضاء في اليونسكو في السادس عشر من نوفمبر عام ١٩٩٥م

٢٠. [سورة هود/١١٨و ١١٩].

٢١. [سورة الحجرات/١٣].

٢٢. د. ونيس الطاهر عامر، العفو والصفح في القرآن الكريم، جريدة الوطن، صوت عُمان في العالم

٢٣. [سورة النحل/١٢٥].

٢٤. [سورة الفرقان/٦٣]

٢٥. [سورة العنكبوت/ ٤٦].

٢٦. [سورة الأعراف/١٩٩].

٢٧. [سورة الأنعام/١٠٨].

٢٨. سورة آل عمران/١٥٩].

٢٩. [سورة النور/٢٢].

٣٠. [سورة الحجر/٨٥].

٣١. [سورة آل عمران/١٣٤].

٣٢. [سورة الشورى/٤٣].

٣٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري » كتاب البيوع » باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، رقم ٢٠٧٦.

٣٤. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، رقم ٢٤٨٨.

٣٥. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، رقم ٢٣٢٨.

٣٦. متفق عليه، أخرجه البخاري، صحيح البخاري، برقم ٣٤٧٧، ومسلم، صحيح مسلم، برقم ١٧٩٢.

٣٧. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ١٩٩٣م، دار ابن كثير، رقم ٥٧٦٣.

٣٨. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٨٨.

٣٩. الغزالي، أبو حامد بن محمد الطوسي، إحياء علوم الدين، ١٨٤/٣.

٤٠. المرجع السابق، رقم ٣٩.

٤١. المرجع السابق، رقم ٣٩..

٤٢. همسية، بدر عبد الحميد، والعافين عن الناس، موقع صيدالفوائد.

٤٣. الصنيع، هناء بنت عبد العزيز، ماذا تحتسبين في العفو عن الناس؟ موقع صيد الفوائد.

٤٤. الجابري، نبيل نعمة، (٢٠٠٨م)، شبكة النبأ المعلوماتية.

٤٥. مقالة للأستاذ عقيل يوسف عيدان، باحث في الفلسفة الإسلامية والفكر العربي، من الكويت.

٤٦. المرجع السابق.

٤٧. الكتاب المقدّس للمدرسة والعائلة في العهدين القديم والجديد – (العهد القديم). بعناية: الأب باسيليوس كناكري. ص١٣٥.

٤٨. المصدر السابق، ص ١٣٩.

٤٩. المصدر السابق، ص ١٣٩.

٥٠. سورة الأعراف: 199] .

٥١. [سورة النور: ٢٢].

٥٢. [سورة المؤمنون: ٩٦]

٥٣. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب، رواه عقبة بن عامر، الصفحة أو الرقم ٢٥٣٦.

٥٤. العيداني، ضياء، التسامح لغة الأسرة الناجحة، صحيفة الهدى.

٥٥. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، (٧٤٨ هـ)، الطب النبوي، دار مكتبة التربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦.

٥٦. المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، ص ٢٨٨.

٥٧. الموسوعة العربية العالمية، (١٩٩٩)، ط٢، مجلد ١٠، ص ٤٥٤، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية

٥٨. الخضرا، عبد العزيز، كاتب وباحث تربوي، موقع الأوائل.

٥٩. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، صحيح ابن حبان، رقم ٤١٨٦.

٦٠. سورة البقرة: ٢٠١].

٦١. النابلسي،محمد راتب، جوامع الكلم،والقول منسوب لسيدناعلي رضي الله عنه.

٦٢. سورة الرحمن: ٢٦– ٢٧]

٦٣. عرجاوي، مصطفى، (٢٠١٠)، صمام الأمان للأسرة السعيدة، مجلة الوعي الإسلامي، مجلة كويتية شهرية، العدد ٥٣٢

٦٤. ابن حجر العسقلاني، مشكاة المصابيح، رواه أنس بن مالك، الصفحة أو الرقم:٣/٣٠٠. وابن حبان، صحيح ابن حبان، رواه أبو هريرة، الصفحة أو الرقم: ٤١٦٣.

٦٥. سورة الروم: ٢١] .

٦٦. [سورة النحل:٩٧]

٦٧. سورةالنساء: ١] .

٦٨. سورة الشورى: ٣٦]

٦٩. سورة الجاثية: ١٨]

٧٠. مرجع سابق، رقم ٦٣.